مقاطع مبعثرة من مذكرات عيسى بن العامل

خلف الباب كان ابي محمولا على اكتاف رفاقه العمال، ولم يكن معه شيء.. اجرته اليومية، الحلوى التي قطع وعدا بها في الصباح لاختي الصغيرة حنان. هو ذاته اصبح عدما. وكان ان عرفنا من رفاقه انه سقط من فوق احدى العمارات، بينما كان يصعد الى سطحها بصحبة صديقته "تنكة الباطون"..

وعلى ما اذكر اقيمت مناحة في الدار واشياء اخرى كثيرة ومن يومها بدانا السير فوق اكثر اشواك الدنيا ايلاما وكان لا بد لامي واخي الكبير احمد الذي كان في الجامعة حينها، ان يحلا مكان ابي. ومن يومها ايضا نبتت في قلب اخي بذرة لنوع من العشق محروم يغزو في العادة قلوب الفقراء المحرومين .. سرعان ما نبتت تلك البذرة في قلوب جميع افراد الاسرة الصغيرة ومن جديد ابتسمنا للحياة.

المقطع الرابع :

في مساء ذلك اليوم اخذتني قدماي الى غرفتنا التاريخية وفي يدي كانت مجموعة من الدفاتر محشوة بالكثير من مواد الجامعة، ورغم كوني احملها منذ الصباح الا انها كانت خارج ذاكرتي واحساسي حين اقتربت من الغرفة وجدت امي تجلس على عتبة الباب. كانت تبكي بصمت، وتضع يديها على خدين يحملان صورا لكل اشكال معاناة الانسان. تعتصرهما بقسوة لكن بهدوء فقد كانت امي هادئة، هادئة حتى في اقسى الظروف، لم اجرؤ على سؤالها ولم اجرؤ على استقبال المفاجئة فيها. دخلت الغرفة، الصغيران ساسية وفائز كانا يبكيان بصمت. اما حنان البريئة جدا والحزينة منذ ان افتقدت عدايا الحلوى فقد كانت تجلس في الركن هناك دون ان تفعل شيئا سوى التحديق في نقطة لا اعرف موقعها من هذا الكون.. اتجهت نحوهما مستفسرا فتمتمت بكلمات علقت واحدة منها بذهني :

— اخذوه ..

تلفتُّ حولي* على الفور.. الكتب متناثرة وكل الاشياء الاخرى، وعلى كل شيء في الغرفة كانت اثار كلاب المدينة.

سألتها مرة اخرى مستفسرا :

— اخذوه؟ . اخذوا من ؟

تمتمت من جديد :

— اخي احمد .

عندها عدوت الى الخارج فعانقت امي وكل الاخرين. ورجوتهم جميعا بكل ما املك من حرارة ان يحتفظوا بقليل من دموعهم فقد جاء دوري.

(عيسى)

تضامن مع المسرح الفلسطيني في "مؤتمر مسرح العالم الثالث"

تحت شعار المسرح والتحرر الوطني عقد في العاصمة القبرصية مؤتمر دولي اعدت له المؤسسة الدولية للمسرح. وقد كرس هذا المؤتمر لقضايا المسرح في العالم الثالث. واول ما لفت الانتباه في قاعة المؤتمر هو الوجود شبه المعدوم لدول العالم الثالث. فمن اصل سبعة عشر دولة كانت هناك اربعة دول اعضاء في المؤتمر وقد تغيبت جميع الدول الافريقية وكذلك الدول العربية باستثناء الاردن.

بدا المؤتمر الذي تواجد فيه الوفد الفلسطيني بصفة مراقب فقط بمداخلة تقدم بها السكرتير العام للمؤسسة الدولية للمسرح والذي ترأس الوفد الفرنسي جان داركانتي. وقد تميزت هذه المداخلة منذ لحظات المؤتمر الاولى بسخونتها السياسية، ولم تكن على علاقة من قريب او بعيد بمسرح العالم الثالث، وكل ما اراده السيد (دار كانتي) هو وضع المؤتمر في جو سياسي ساخن مقارنا ما يحدث في بوليفيا تجاه حرية المسرح والمسرحيين، بما تروج لها الدعايات الغربية حول الوضع داخل دولة من دول المنظومة الاشتراكية وهي تشيكوسلوفاكيا. الا ان (هامبيرتو اورسيني) الفينزويلي ورئيس اللجنة الدائمة لمسرح العالم الثالث رد بمداخلة هادئة مؤكدا انه لا تجوز المقارنة بين الدولتين المذكورتين مشيرا الى الدلائل المادية في كل منهما والتي تنفي في الوقت ذاته وجود اية ظاهرة قمعية تجاه المسرحيين في تشيكوسلوفاكيا واستطاع المؤتمر بعد هذه المداخلة الانتقال لصلب الموضوع الخاص بشعار المسرح والتحرر الوطني. ومما لفت الانتباه ايضا هو ان بعض الوفود من دول اوروبا الغربية كانت ممثلة بعناصر مسرحية شابة طرحت قضية الحرية وقضايا التحرر الوطني. وعلاقاتها بالمسرح بشكل تقدمي وديمقراطي، وتمثل ذلك بالمداخلة التي تحدث فيها ميشيل جوليان رئيس الوفد البريطاني والذي اوضح معرفته الكاملة بمحاولات الهيمنة من قبل الدول الامبريالية والرأسمالية على الفكر الفني والمسرحي التقدمي في بلدان العالم الثالث من خلال ادواتها فيه. وكذلك لفت الانظار مداخلة الوفد الهولندي الذي دافع دفاعا مركزا عن حق الفلسطينيين في اقامة نشاطهم المسرحي وحركتهم المسرحية داخل الاراضي المحتلة وفي المنفى، وضرورة دعم هذه الحركة من قبل المؤسسة الدولية للمسرح. بالاضافة الى المداخلات القيمة والمفيدة التي تقدمت بها وفود دول المنظومة الاشتراكية وفي مقدمتها وفد الاتحاد السوفييتي ووفود جمهورية المانيا الديمقراطية وجمهورية بلغاريا الشعبية والوفد الكوبي.

وقد لعب الوفد الفلسطيني دورا نشطا داخل المؤتمر بعدما تقدم بدراسة شاملة حول وضع المسرح الفلسطيني داخل الاراضي المحتلة وما يتعرض له. كذلك تعرضت الدراسة لاوضاع المسرح الفلسطيني في بعض الاقطار العربية ولدور منظمة التحرير الفلسطينية من خلال اجهزتها الاعلامية في تطوير الحركة المسرحية الفلسطينية والنهوض بالمستوى الفني والثقافي والحضاري للشعب الفلسطيني والجماهير في المخيمات وفي اماكن الشتات.

وتركت هذه المداخلة اثرا جيدا داخل قاعة المؤتمر مما حدا ببعض الوفود للاستشهاد بموضوعة القمع التي يتعرض لها مسرحيو الاراضي الفلسطينية المحتلة كدليل على ضرورة التدخل المباشر والعملي من قبل المنظمة الدولية للمسرح لوقف هذه الاعمال المضرة بنهوض المسرح كواحد من اقدم الفنون الانسانية، وكذلك لتوظيف طاقات هذه المؤسسة لما فيه خدمة الفن والادب المسرحي ودعم دور حركات التحرر الوطني صاحبة الحق في تطوير حركتها المسرحية لتساهم بدورها — ثقافيا — في عملية التحرير.

ومن المداخلات الهامة التي لفتت انتباه المؤتمرين ايضا، المداخلة التي تقدم بها الوفد الهندي والتي وضعت امام المؤتمر صورة عامة ودقيقة تتعلق بدور المسرح الهندي خلال الفترة التي كانت فيها الهند مستعمرة بريطانية مرورا بمرحلة الاستقلال، وانتهاء بالحالة الراهنة للمسرح، وفيما يتعلق بالمشاكل والقضايا التي يعالجها هذا المسرح الى جانب المشكلات التي تعترضه. وقد تقدم بهذه المداخلة البروفيسور (بهالبا كيلكار) وهو ممثل ومخرج في آن معا.

ما هي المؤسسة الدولية للمسرح ؟

هذه المؤسسة هي واحدة من المؤسسات الكثيرة التابعة لمنظمة (اليونسكو)، سكرتيريتها العامة في باريس ولها في كل بلد من بلدان العالم مركز يحمل اسم الدولة المنتشة على ان يكون فيها حركة مسرحية.

حصيلة المؤتمر

بعد ستة ايام من بداية اعمال المؤتمر وحتى نهايته توصل المؤتمرون الى رفع تقرير نهائي خاص بقضايا مسرح العالم الثالث للمؤتمر العام الذي سيعقد في مدريد خلال حزيران من العام القادم. وكان هذا التقرير قد حاز على تأييد اجماعي من قبل جميع الدول المشاركة في المؤتمر. ويتضمن التقرير النهائي ستا وعشرين توصية ثلاث منها كانت من نصيب فلسطين، حيث تقول التوصية الاولى ان المؤتمر يرفع توصية لقبول المركز الفلسطيني لمؤسسة المسرح الدولية عضوا في المؤسسة الدولية معتمدين بذلك على العضوية المراقبة لمنظمة التحرير الفلسطينية في هيئة الامم المتحدة وعضويتها في اليونسكو، اما التوصية الثانية فتقول بان المؤتمر يدعو السلطات الاسرائيلية للافراج عن المعتقلين المسرحيين الفلسطينيين في سجون الاحتلال، وتقول التوصية الثالثة بان المؤتمر يطالب السلطات الاسرائيلية برفع الرقابة العسكرية عن النصوص المسرحية وترك الفرق المسرحية الفلسطينية تعمل بحرية داخل اراضيها المحتلة.

(عن الحرية)

تذكار

بقلم أبو المنى

الاهداء: الى "منى" التي سافرت طويلا ولا زالت على اهداب ذاكرتي وفي شرايييني. الى التي التصق اسمي باسمها".

قلت لي ذات مرة، ايتها التي علمتني ان الحب في خذ الحياة، واعماق الذات.. وفي امواج الدمع المتدفق في عينيك، ونحن على ضوء القمر. نتهامس. نتبادل لغة العشق المذبوح على ابواب قريتنا. تحت لظى الشمس، فتلتقد في صمت. كالارض والرّداد..

دعنا نركض نحو الغاب، نحو الجدول فنغتسل، ونغني.. دعنا نركض ونبتعد بعيدا، بعيدا، عن هذي القرية، نهرب من هذه الزحمة وقلت لي ايضا: كيف يصير العمر ربيعا، كيف يظل العمر الخلية حيّة؟ طاوعتك رجلاي.. ولم تطاوعك نفسي..

فقلت، لحظة كنا فيها فوق الشجرة القريبة من الجدول : دعنا نلعب في هذه الخريطة، "خريطة العرب". ها هي .. دعنا نمزقها..

لا اذكر بداية لعبتنا جيدا، لكني لا زالت اذكر عندما حاول كل واحد منا ان يمسك بطرف من الخريطة، واذكر عندما صحونا كنا نضحك ، نبكي.. ونغني. وشعرت اني امشي في جنازتك، ارقص ليلة عرسك، واغني ليلة عيد ميلادك. فضربت انا الارض بقدمي، وهمست بصوت مذبوح: آه، يا ولدي، ما اصعب ان يكتشف الانسان في لحظة من لحظات عمره انه كان يضحك من، على نفسه، ودموعه كانت ترثي حاله..

عندما لوعينا تماما.. كانت نفسي تمزق نفسي، وبكيت انت وصرخت كفتاة ثملة:

× اين هي الخريطة التي وددنا تمزيقها، انها ممزقة. الف قطعة وقطعة.. ونحن ضحية هذا التمزيق.

هل تذكرين عندما قلت لك : دعنا في شوارع قريتنا، دعنا نطوف الخريطة، شوارعها، عواصمها نصافح اهلها، نزرع الحب في حواكيرها.. دعنا نقضي العمر في تلصيص القطع، الاجزاء المتناثرة. دعنا نتعلم هذي اللحظة من تلك الدمعة، والضحكة المرة. ان الهارب قاتل.. وان الخريطة تحتاج الينا، لنرسم، ونزرع امام تسلسل القادم، فلماذا يكون النسل القادم محكوم عليه بالاعدام. على اعواد، احمدة الاحزان..؟

ولنكن كبش فداء لحياة الانسان.